مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

عناصر الهويّة الوطنيّة في الأغنية الشّعبية الثّورية لمنطقة قالمة

فاتح عيّاد

قسم اللغة والأدب العربي- كلية الآداب واللغات- جامعة8 ماي 1945 قالمة- الجزائر
fateh.turk@hotmail.fr

الملخّص-

تُعتبر الأغنية الشّعبية الثّورية مظهرًا من مظاهر الثّورة، متجسّدة في كلمات و ألحان متشبّعة بالرّوح الوطنيّة، وهي ذات إبداع فنّي جميل، لا يخلو من العاطفة الصّادقة، و الأحاسيس المرهفة، كما تعدّ وثيقة تأريخ تحمل في طيّاتها بطولات عظيمة و جرائم شنيعة شهد لها كل منصف على سطح المعمورة. وتجدر الإشارة إلى ما تبعثه هذه الأغاني الشّعبية الثّورية من حماسة في نفوس الثوّار، ولاسيما في ترسيخ الهويّة الوطنيّة ذات البُعد الرّوحي الإسلامي العميق، و اللغة العربيّة المتأصّلة ، إلى جانب كلّ ما يرمز إلى الرّوح الوطنيّة كالتمسّك بالأرض، و السّعي لأجل رفع العلم الوطني باعتباره رمزًا للسّيادة الوطنيّة، فلم تدّخر السّياسة الاستعمارية أيّ جهد من أجل طمس كل ما يتعلّق بالهويّة الوطنيّة، بشتّى الطّرق وبالوسائل المختلفة، و زرع الفُرقة بين الإخوة في الله والوطن.

لذا فقد أسهم مبدعو الأغنية الشّعبية في الدّفاع عن القضيّة الجزائريّة، معبّرين عن مواقفهم السياسيّة، ناقلين واقع المجتمع الجزائري إبان الحقبة الاستعمارية، و التّعبير عن كلّ ما يختلج في أنفسهم من مشاعر الألم و القهر، و مناداة بالحريّة والانتصار حفاظًا على الهويّة الوطنيّة.

الكلمات المفتاحية : الأغنية ،الهوية الوطنية ، الثورية ، الشّعبية .

Summary-

The revolutionary folk song is regarded as one of several manifestations of the revolution, embodied in the lyrics and melodies which are saturated with the national spirit. It is characterized with a beautiful artistic creativity, one that is not devoid of genuine emotions and refined feelings. It serves as a historical document that records great deeds and heinous crimes witnessed by humanity all over the world. It is important to point to the enthusiasm these revolutionary folk songs instilled in the souls of the revolutionaries, particularly in the consolidation of both the national identity with its spiritual and Islamic dimensions and the original Arabic language. These songs also dealt with everything that symbolizes patriotism such as the preservation of the national territory and the desire to elevate the national flag as a symbol of national sovereignty in response to the colonial policy which spared no effort to blur everything related to the national identity in various ways and by various means to sow discord among brothers in God and the homeland.

Accordingly, the authors of the revolutionary folk song have contributed in defending the Algerian cause, expressing their political positions and revealing the reality of the Algerian society during the colonial era. They depicted their inner thoughts and feelings of pain and oppression, and called for the victory and the triumph of freedom in order to preserve the national identity.

Keywords -

The song , national identity, revolutionary, popular.

اصطفّالفنُّ الشّعبيُّبأشكاله المختلفة إلى جانب الشّعب الجزائري في الثّورة ضدّ المستعمر، وبخاصة الأغنية الشّعبية نظرًا لما اكتسبته من أهميّة كبيرة في بعث الرّوح الوطنيّة و تأصيل الهويّة.والأغنية في تعريفها اللّغوي هي :"ما يترنّم به من الكلام الموزون وغيره، وجمعها أغاني"[1]. أمّا فيما يخصّ التّعريف الاصطلاحي فقد شمله كثير من الغموض ممّا جعل مجال البحث فيه يستقطب أنظار كل

باحث مشتغل في هذا الميدان، و من بين التعريفات المقدّمة للأغنية الشّعبية أنّها " تلك المقطوعة الشّعرية التي تُغنّى ، والتي توجد في المجتمعات فتتناقل آدابها عن طريق الرّواية الشّفوية، كما يتم حفظها من غير حاجة إلى تدوين أو طباعة، فضلًا على اعتماد موسيقاها على السّماع"[2]، وعُرِّفت، بأنها، بأنّها: "قصيدة غنائية ملحّنة مجهولة النّشأة ظهرت بين العامّة من النّاس في أزمنة ماضية وبقيت متداولة أزمانًا طويلة"[3].

ممّا سبق، يمكننا القول إنّ الأغنية الشّعبية هي التي تتواتر عبر الأجيال بشكلٍ مستمرٍّ، ولأزمنة طويلة، وترتبط بمكان وبيئة وجماعة ما من البشر ولا يُشترط أن يكون مؤلّفها مجهولًا، وهي تتأثّر بالبيئة التي تخرج منها،أي أنّ لها ارتباطا ماديا وعقليا وروحيا بالمجتمع، وهي إبداع تلقائي صادر عن فكر ووجدان مشترك بين أبناء المجتمع، ويمارسها المجتمع في إطار من عاداته وتقاليده ومناسباته الاحتفالية المتنوّعة.

ولماكانت الكلمة الشّفوية " تسجّل وتنقل كل صغيرة و كبيرة، وتولّد عن كل حدث حكاية أو شكوى ينقلها الرّكبان وتتلقّفها الأذهان لتعبّر عن وضع مأساوي تعيشه الجماهير الشّعبية وتتفاعل معه"[4]، فإنّ الأغنية الشّعبية ساهمت وبشكلٍ فعّالٍ في بلورة الفكر الثّوري، وعبّرت عن المواقف السياسيّة النضاليّة لدى الشّعب، ذلك أنّ " الكلمة أحد أنواع العمل الثّوري الواعي لأنّها من جنس الفعل"[5]، فتمكّنت من نقل صورة واضحة عن الثّورة الجزائرية المظفّرة، إذ " كان هناك شعراء شعبيّون معروفون أومجهولون أبدعوا قصائد شعبيّة نضاليّة تبكي المجد الغابر، وتستعيد ذكريات الانتصارات، وتحرّض على المقاومة والنّضال"[6] سجّلوا أحداث الثّورة وانتصاراتها وانتكاساتها، كما سجّلوا بطولات رجالهم واستشهادهم منذ بداية الاحتلال إلى أن استردّت البلاد حريّتها واستقلالها بواسطة التألّم، والتأسّف، والسّخط، والدّعوة إلى التّغيير والثّورة،فالأغنية الشّعبية الثّورية "رد فعل على المخطّطات الاستعماريّة المختلفة

في مجالات السّياسة والاقتصاد والاجتماع، أي ضد عمليّات القمع والإبعاد والإبادة والتّحقير"[7]

وقد شاركت المرأة الرّجل في إبداع أغاني الثّورة التّحريرية، حيث تجذّرت الرّوح الجماعيّة لدى المواطنين الذين قاوموا العدو الفرنسي كرجل واحد منذ دخوله أرض الجزائر، وكان هدفهم الوحيد الحفاظ على الهويّة الوطنية التي ورد في معناهااللّغوي في معجم المعاني:الهويّة اسم منسوب إلى هوَ ، والهويّة الوطنيّة: مَعَالِمُهَا وَخَصَائِصُهَا الْمُمَيَّزَةُ وَأَصَالَتُهَا[8]. أمّا عن معناها الاصطلاحي فهي "جملة الخصائص والسّمات الجوهريّة التي تميّز حقيقة الشّيء أو الشّخص وتجعله مختلفاً عن غيره، وترتبط بإدراك الفرد لذاته، كما تُعتبر خاصيّة ثابتة ومستمرّة للفرد أو للجماعة" [9]

ممّا سبق يبدو أنّ الهويّة هي كلّ ما يمكن الارتكاز عليه في سبيل تميّيز فردٍ أو شعبٍ ما عن غيره، من خلال ميزات لها أبعاد عميقة قوامها الارتباط بمفهوم المواطنة بحيث "يعي فيها الفرد ذاته كما تعي الجماعة ذاتها، ويشعر الفرد بالانتماء لهذه الجّماعة"[10]

سعى الجزائريّون بكلّ ما أوتوا من قوّة إلى الحفاظ على هويّتهم الوطنيّة، لأنّها تجسّد ماضيهم وحاضرهم، بكل ما تحمله من مقوّمات، وقدتفطّن المستعمر الغاشم إلى أنّ الهويّة هي نقطة القوّة لدى هذا الشّعب الأعزل، فعمد إلى محاولة طمسها بشتّى الطّرق والوسائل، وبهذا الخصوص يقولأحد الدّارسين: "إنّسبيلهذاالاستلابالحضاريهوالاستلابالفكري،وسلاحههوهدمالأسسوالقيملحضارةالأمّةالمستلبة،والقضاءعلىمقوّماتومظاهرحضارتهافينفسهاوفيالواقعالمعاش"[11]،ذلك أنّ أقصر الطرق إلى الهيمنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والفكريّة هي تجريد الأمّةمنكيانهاالحضاريوالرّوحي.

وقدكانللجّمعياتوالنّوادينوالصّحفالوطنيّةالتيتأسّستفيالعقدينالثّالثوالرّابعمن القرنالماضي،بعضالأثرفيإحداثيقظةفكريّةعامّةمسّتالأوساطالشّعبيةالتيبدأتتسا همفيتأسيسالمساجدالحرّةبأموالهاالخاصّة،سواءفيالمدنأوالقرى[12]،

ولكنالباعالكبيركانلجمعيّةالعلماءالمسلمينالتيكوّنتحركةثقافيةنشيطةونشرتا لتّعليمالعربيفيالمدارسوالمساجدعلىنطاقواسعفيأوساطالأهالي، حيث حارب الشّعب سياسة التّفرقة الطّائفية برفع شعار" **الإسلام ديننا، والعربية لغتنا والجزائر وطننا** " الذي أعلنه العالِم الجليل عبد الحميد بن باديس.

ويمكن تلخيص الهويّة الوطنيّة في قول الشّاعر[13]

سَجِّلْ يَا بْنِي تَارِيخْ ثَوْرَتْنَا وَاحْكِي لَلأَجْيَالْ القَادْمَة مَاضِينَا[14]

أحْنَا عْرَبْ وَ الجَزَائِرْ مَوْطَنَّا ونُورْ الإسْلَامْ بِيهْ اهْتَدِينَا[15]

نتلمّس في هذين البيتين أبرز وأهم مقوّمات الهويّة الجزائرية، ألا وهي: الدّين، والعروبة، والتعلّق بالأرض و الوطن، و سنورد هذه العناصر كلّها بشيءٍ من التّفصيل، والتمثيل بالأغنية الشّعبية.

شكّل الدّين عنصرًا أساسيًّا ومُهمًّا في تنبيه الأمّة من خطر الاستعمار، والاستشعاربالعدوان الصّليبي، وكان عاملًا لإيقاظ الشّعور فيهم، ونشر الوعي وتقوية اللّحمة بين أفراد الشّعب الواحد، فقد وحّد الدّين الجزائريّين ورسم لهم أهدافهم الوطنية، و كلّما كان الدّين متوهِّجًا في القلوب كلّما ازدادت النّفوس عزمًا،ورضيت بالقدر وتغلّبت على الظّلم، كما شكّل الدّين "مصدر القيم والتّصورات والممارسات الأخلاقية التي يشترك فيها أبناء الدّيانة الواحدة، وتحثّهم على التّماسك والتّلاحم الرّوحي، و تُشعرهم بانتمائهم إلى هويّة مشتركة"[16]والملاحظ أنّالمفردات الدّينية وُظِّفَت بشكل كبير في الأغنية

الشّعبية، فأضفت عليها طابعًاخاصًّا، لتعبّر بذلك عن نفسيّة المواطن الجزائري المؤمنة. تقول الأغنية:[17]

يَانَاسْ قُومُوا بَالصْلَاةْ وَاتْرِكُوا الشِّي اللِّيفَاتْ[18]

وقَرِّيوْ اُولَادْكُمْ فَاللُّغَاتْ بَاهْ يَخْرجُوا زُعَمَا[19]

وظّف صاحب البيتين ضمير المخاطب كونه الأنجع لبث الحماس، والحثّ على فعل الشّيء، على اعتبار أنّ المخاطب هو المُلزَم بالاستجابة والإنجاز، (قوموا – اتركوا – قرّيو – اولادكم) ، والمخاطب هنا هم أبناء الوطن عامّة (يا ناس)، حثّهممبدع الأغنية على الالتزام بأداء الصّلاة باعتبارها قوام الدّين وعموده، فالصّلاة صلة بين العبد وربّه، وخصّ الآباء في البيت الثّاني (قرّيو اولادكم) لأنهم مَن يحمل على عاتقه مسؤولية تربية النّشأ وإيصالهم إلى برّ الأمان، بما أوتوه من رجاحة عقلٍ، وسداد رأيٍ. وهو يدعوهم إلى تعليم الأبناء اللّغات، مصداقًا لما ورد في السنّة النّبوية[20] ، فمن تحلّى بهذه الأمور الأساسيّة في الحياة سيغدو زعيمًا ذا شهرة و صيت.

و قد تغنّت الأغنية الشّعبية الثّورية في بداياتها بتوظيف المصطلحات الدّينية والافتتاح بالبسملة، وذلك لتقوّي عزيمة المجاهدين الجزائريّين وتحثّهم على التوكّل على الله، معلنةً بذلك أنّ الجهاد جهاد في سبيل الله، تقول الأغنية:[21]

بَسْم الله بَادِي لَقْصِيدَة يَا الله الله رَبِّي[22]

اَنْزُورْ مَكَّة جَاتْنِي بْعِيدَة يَا الله الله رَبِّي[23]

بدأ الشّاعر الأغنية بالبسملة، وهذا ما يبيّن أنّ الدّين كان ساكنًا في القلوب، والاشتياق والنّية لإتمام المناسك وزيارة مكّة المكرّمة موجودة، ولكن الواجب الوطني كان حائلًا دون الوصول إليها، ونلاحظ توفّر المفردات الدّينية بكثافة في

هذه الأبيات (بسم الله، الله، ربّي، مكّة) ممّا أكسبها مسحة دينيّة، والقارئ لها يظنّ لأوّل وهلة أنّها من قصيدة دينيّة بحتة، لكن بتأمّله العميق يدرك أنّ بؤرتها تكمن في الجهاد والتّضحية في سبيل الله.

وفي موضع آخر:[24]

بَسْم الله بْدِيتْ نْقُولْ وجَبْتْ كْلَامِي عْلَى الرَّسُولْ[25]

مُحَمَّدْ شَفِيعْ القَوْمْ هُوَ للِّي يَشْفَعْ فِينَا[26]

وردت في هذا المقطع البسملة، واستحضار الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم- شفيعًا للمسلمين، فالافتتاحيّة الدّينية تكون عادةً فأل خيرٍ وبركةٍ استنّها الشّعراء في بدايات قصائدهم، ولاسيما أنّها انطوت –قصائدهم- على الرّجاء والأمل في الفرج القريب من الله تعالى، والبيت الثّاني يدل على تشبّع صاحب المقطع بالرّوح الدّينية، والتّقوى، فهو يؤمن بما ورد في الأحاديث النّبوية بأنّ الرّسول صلّى الله عليه و سلّم هو شفيع الأمّة، "فإنّالشّفاعة إظهار فضل الشّفعاء يوم القيامة ، وأعظم الشّفعاء يوم القيامة النّبي محمدصلّى الله عليه وسلّم، فإنّ له يوم القيامة خمس شفاعات ، أربع منها خاصة به، وواحدة يشترك فيها مع سائر الشّفعاء"[27]،وقد صنّف مبدع الأغنية نفسه ومن معه من أبناء الوطن المخلصين للقضية الوطنية ضمن المشفوع فيهم، دلّ على ذلك ضمير جمع المتكلّم (نحن)، مصداقًا لقوله تعالى في الحديث القدسي: "**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ** "[28]

وقد كانت المصطلحات الدّينية أيضًا تُوظَّف في ذكر الموضوع الثّوري كالتّضرع إلى الله عزّ وجل بالدّعاء لحماية المجاهدين من كيد الأعداء:[29]

يَا الذْرَارِي المُجَاهِدِينْ يَا اللّي جِيتُو لَجْبَلْ أُورَاسْ[30]

نَطْلَبْ رَبِّي و مُحَمَّدْ يَمَنْعْكُمْ مَنْ ضَرْبْ الرَصَّاصْ[31]

إنّ التضرّع لغير الله مذلّة، والمسلم التّقي حريص على توجيه دعائه لله دون غيره، والأغنية الشّعبية الثّورية حملت على عاتقها نقل القيم الدّينية ، وبثّها في روح المتلقّي حتّى تشجّعه على الإقدام والسّير في خطى ثابتة، ذلك أنّ كلّ نفس تطمئن لأيّ أمر حضّ عليه الله ورسوله، لذا يوجّه مبدع الأغنية دعاءه إلى الله تعالى متضرِّعًا إيّاه أن يحمي الجنود من طلقات النّار الموجّهة من قِبل العدو، ويذكر محمّدًا –صلّى الله عليه وسلّم- لمكانته عند الله عزّ وجل، ولأنّه رسول الأمّة وشفيعها.

ويلفت انتباهنا في البيت الأوّل توظيف الجبل، وهو وارد بكثرة في الأغاني الشعبيّة الثّورية، حيثيعدُّ الجبل رمز الثّورة بكل ما تحتويه هذه الكلمة من شجاعة وبطولة و فِداء، فالجبل ملاذ الثوّار ومركز تواجدهم، إذ اتّخذوه حصنًا منيعًا يحتمون به، ومكانًا ينظّمون فيه نشاطاتهم الثّورية وينسجون خططهم العسكريّة للنّيل من الاستعمار ، كما يُعدّ موقعًا استراتيجيًّا للهجومات، نظرًا لمسالكه الوعرة، والتي وقفت حائلًا دون الوصول إليهم، ممّا زاد الأمر صعوبة على المستعمر، فلم يجد من بُدّ إلا غرس الألغام، وقذف القنابل، وحرق الجبال.
ومن أمثلة الدّعاء والتضرّع لله في الأغاني الثّورية أيضًا:[32]

الله شَعْـب الجَـزَائِرْ الله شَعْـب الجَـزَائِرْ

يَا رَبْ عِينْ للّي ثَـايَرْ[33]

بَالِيفْ وْ بْدِيتْ نْشَادِي يَا رَبِّي ثَبَّتْ جِهَادِي[34]

رْضَايَةْ الله رَبِّي المُعِينْ[35]

الهَمْزَة فِي السْطُورْ يَا رَبِّي طَوَّلْ لَعْمُورْ[36]

كرّر المغنّي عبارة "الله شعب الجزائر" مرّتين تأكيدًا منه العلاقة الوطيدة بين الخالق وهذا المخلوق الضّعيف الذي يأبى الهزيمة، والدّعاء واضح في الأبيات؛ "يا رب عين لي ثائر"، أي طلب الإعانة من الله عزّ وجل للثوّار، " يا ربّي ثبّت جهادي" مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾[37]

وفي الختام دعاء لإطالة الأعمار، حتّى يشهد هؤلاء الثّوار النّصر بأعينهم ويشاركوا إخوانهم فرحة الاستقلال.

وتقول الأغنية في الصّدد نفسه:[38]

الله لَا إِلَـهَ إِلاَّ الله و يَارَبِّي وَ أنْتَ المُعِينْ

وَ ثْعِينْ المُجَاهِدِينْ آمْيْجَاهْدُوا عَالدِّينْ[39]

إنّ أخصّ ما امتازت به الثّورة الجزائرية هو الجانب الرّوحي، الذي تغلّب على الجانب المادّي، بسبب ما كان يتمتّع به المجاهدون من تأصُّل روح الجّهاد بقواعده الصّحيحة في نفوسهم، فيتخلّقون بالخلق الحسن، ويتّصفون بفضائل الأعمال، فيعيشون بفكرهم مع هدي الله، ويحاربون أولًا، من أجل دينهم الذي هو أحد القيم السّامية التي يهتم بها المسلم بعكس الكافر الذي لا همّ له سوى المال، تقول الأغنية في هذا المعنى:[40]

الجُنْدِي الطْوِيلْ طْوِيلْ وَ مْحَزَّمْ عَالقَشَّابِيَّة[41]

هُوَ يْحَارَبْ عَالدِّينْ وَ الكَافَرْ عَالشَّهْرِيَّة[42]

خصّ الشّاعر الجندي بصفة الطّول كناية عن رِفعته وعلوّ شأنه لمطلبه النّبيل، والمتمثّل في الحريّة، ليعكس في المقابل وضاعة المستعمِر ومطلبه الدّنيء؛ الطّمع و الجشع.

وفي مقطع آخر:[43]

يَاخُوتِي المُجَاهِدِينْ كُونُوا خَاوُة مُتَّحْدِينْ[44]

إذَا مُتُّو مُوتُو عَالدِّينْ و إذَا عِشْتُو جِيبُو الحُرِيَّة[45]

تدعو الأغنية إلى الاتّحاد بين أبناء الجزائر والوقوف جنبًا إلى جنبٍ لمكافحة العدو، والاستشهاد من أجل نصرة الدّين الإسلامي، واسترداد الحريّة المسلوبة من طرف المستعمِر الغاشم.

ومن هنا كان الجهاد في سبيل الله، والدّفاع عن الإسلام هما الهدف الأسمى من النّضال، وبتعبيرٍ آخر كانت الفكرة الوطنيّة مزيجاً من العقيدة الدّينية والرّوح الوطنية، فكان للعامل الدّيني دورٌ رئيسيٌّ في تحريك العاطفة ممّا جعل الجماهير الشّعبية تُقبل على الجهاد وتقدّس الاستشهاد لارتباط الثّورة بالدّين:[46]

الله يَا السُّجْعَانْ يَا أهْل الإيمَانْ يَا لْمُخْلِصِينْ وَ اسْمعُوا لِيَّا[47]

خُودُوا كَلَامْ مَا فِيهْ إفْهَامْ تَارِيخْ جْدِيدْ عْلَى الوَطَنِيَّة[48]

كْلَامِي يَنْتَمْ وَالله مَا نَنْدَمْ بْجَاهْ مُحَمَّدْ شَفِيعْ الأنْبِيَا[49]

وجّه المجاهد نداءه للثوّار الشّجعان المخلصين، كي ينصتوا لما سيلقيه عليهم من كلام له معنى واضح جلي لا يحتاج إلى شرح؛ "خوذوا كلام ما فيه إفهام"،

كلام يحمل في طيّاته معنًى جديدًا للحياة، موظّفاً في ذلك عبارات تندرج ضمن الحقل الدّيني: الله، أهل الإيمان، والله، بجاه محمد شفيع الأنبياء.

إنّ أقصر وأعظم طريق إلى الله عزّ وجل هي الجهاد في سبيلهِ، فهو تضحية بالنّفس والمال، وبُعد عن ذويهمرضاةً لله عزّ وجل، لذا أعدّ الله للمجاهد أعظم جزاء؛ جنّة الفردوس الأعلى التي يتنافس عليها المتنافسون، وقدّ خصّه بالحياة بعد الاستشهاد، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[50] فهذه الآية تدلّ على أنّ الشهداء أحياء في عالم البرزخ يرزقون ، وأرواح الشّهداء عبارة عن حواصل طيور خضر تسرح في الجنّة ، والشّهيد يتمنّى أن يرجعَ إلى الدنيا ليجاهد في سبيل الله مرّة أخرى لما ناله من أجرٍ عظيمٍ، قال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: " ما من نفسٍ تموت فتدخل الجنّة فتودّ أنّها رجعت إليكم ولها الدّنيا وما فيها إلّا الشّهيد فإنّه ودّ أنّه قتل كذا مرّة لما رأى من الثّواب"[51]

وقد نوّهت الأغاني الشّعبية عن الأجر الكبير الذي ينتظر المجاهدين في سبيل الله، سواء في حياتهم أوبعد استشهادهم :[52]

الجُنُودْ عْلَى رَجْلِيهُمْ وَ الغَابَة غَطَّاتْ عْلِيهُمْ[53]

إذَا مَاتُوا الجَنَّة لِيهُمْ و إذَا رَبْحُوا مَبْرُوكْ عْلِيهُمْ[54]

اعتمد الشّاعر الكناية في قوله: "الجنود على رجليهم" كناية على أنّهم كانوا مشاةً، وفي قوله: "الغابة غطّات عليهم" كناية عن احتمائهم بها.

وكثيرًا ما ترد الشّهادتان في أوّل القصائد الثّورية، وهماالرّكن الأوّل من أركان الإسلام، و دعامة من دعائم الإيمان، يردّدها مبدع الأغنية لتضفي على قصيدته مسحةً إيمانيةً، و ليستشهد بها على نفسيّته المؤمنة:[55]

لَا إِلَـهَ إِلَـا اللهُ طْوَالُو الأَيَّـامْ عْلِيَّـا[56]

الجَزَائِرْ دَوْلَة عَرْبِيَّة عْلَى وَطْنِي وَ مَا صَايَرْ بِيَّا[57]

وفي موضعٍ آخر:[58]

اللَّهْ ، اللَّهْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهْ

الطَّلْبَة فِي رَبِّي وَالمَعْبُودْ اللَّهْ[59]

تميّز جيش التّحرير الوطني ومناضلوه بالشّجاعة، فكانوا يستعجلون طلب الشّهادة والاستشهاد، وهي رغبة ملحّة أملتها المرجعية الدّينية حول شرف الجهاد وثوابه، وعدم تولّي الأدبار أثناء لقاء العدو.

كذلك اشتملت الأغاني الثّورية على شكر الله تعالى لما حقّقه هؤلاء الأبطال من نصر وفوز مظفّر:[60]

مَنْ غِيرْ اللهْ يَا بْنِي لَا حَدْ نْجَدْنَـا وَ جْعَلْ عْصَا مُوسَى بِينْ اَيْـدِينَا[61]

نَصْر منَ الخَالقْ بِيـهْ وْعَدْنَا فَانْتَصَرْنَا عْلِيهُمْ نَصْرًا مُبِينَا[62]

تحت وطأة القهر و المعاناة رفع الجزائريُّ يديه متضرِّعا إلى الله عزّ و جل، حتّى ينصره على العدو الظّالم، وعند استجابة الله تعالى لدعائه فلا يسعه إلا أن يشكره ويُثني عليه، فيذكر أنّه الوحيد صاحب الفضل في نجاته " من غير الله يا بني لا حد نجدنا"، ونلحظ توظيف الاقتباس في الشّطر الثّاني من البيت الأوّل إذ استحضر الشّاعر قصّة عصا نبيّنا موسى عليه السّلامباعتبارها أداةً ومعجزةً تحقّق بها النّصر، وكذلك الاقتباس في البيت الثّاني، إذ بمجرّد قراءته نتذكّر الآية الكريمة: **(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)**[63]

إنّ المجاهدين لا يخافون من الموت لأنّ أنفسهم تطهّرت من الذّنوب والمعاصي، فكافحوا أهواءهم، وحملوا أجسامهم، وقلوبهم على الاستغراق في ذلك الجو الهادي الرّوحاني المنتعش،واقتصروا من العيش، على ما يسدّ الغلة و يستديم الحياة[64]، و هذا ما جسّدته الأغنية الشّعبية:[65]

المُجَـاهِدِينْ يَـا الهِمَّـة اَعْطِيوْنِي رُخْصَة نْشُوفْ يُمَّـة[66]

لَحَضْرَتْ المُوتْ نْمُوتْ ثَمَّة نَضْرَبْ عْلَى دِينِي وَ نْحَرَّرْ بْلَادِي[67]

ونظرًا للقيمة الكبرى التي أولاها الشّعب الجزائري للجانب الدّيني، فقدركزّتجمعيّة العلماء المسلمينفينشاطهاعلىبناءالمدارسالحرّةأوالأهليةالتيبلغتعشيةاندلاعالثّورةسنة 1954 حواليمائةوخمسينمدرسةبمعدلقسمينلكلمنها[68]وعددمعتبرمنالمساجدلانملكحتّىالآنأرقامًادقيقةًعنها،وأصدرتالصّحفوالمجلّات، وأعطتبُعدًاحضاريًّاللشّعبالجزائريودافعتعنهويّتهبقوّةالحجةووضوحالبرهان،وحاربتالمنحرفينوالمشعوذينالذينكانوايسبحونفيفلكالإدارةالاستعماريةالتيحرّكتهم كبيادقضمنمخطّطهاالشّاملالذياستهدفالهويّةالعربيةالإسلاميةللأمّة،خاصّةًوقد أدركتأنّالدّينالإسلاميليسمجردّمعتقددينيٍّكماهوالحالبالنّسبةللأديانالأخرى؛ بلإنّهملازمٌللحياةالشّخصيةوالاجتماعيةوحتّىالسّياسية،ومنهذاالمنطلقكانحصار هاالمفروضعلىالدّينالإسلاميشديدًا.[69]ولما كان الدّين روح و كيان الفرد والأمّة، فالمساس به مساس بالهويّة ، لذا لم يدّخر الشّعب الجزائري جهدًا في مقاومة المستعمر ومجابهته بكلّ الطّرق وشتّى الوسائل.

الهوامش:

1- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيّات، حامد عبد القادر، محمد علي النجّار ،المعجم الوسيط، ، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامّة للمعجمات و إحياء التّراث، دار الدّعوة، القاهرة، مايو 1982، باب الغين، ج1- 2،ص 715

2- فاروق أحمد مصطفى و مرفت العشماوي ،دراسات في التّراث الشّعبي، ، دار المعرفة، الإسكندرية- مصر، ط01، 2008،ص 204

3- فوزي العنتيل ،بين الفولكلور والثقافة الشعبية،، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط01، 1987، ص 245

4- عبد القادر خليفي ،دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، ، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أكتوبر 2005، ص 13

5- عبد العزيز الشويط ،دور النّشيد الشعبي الجزائري في معركة التّحرير الكبرى، دراسة في الأهداف و المرامي لمجموعة من الأناشيد الشّعبية الجزائرية، ، دار أمواج للنشر، الجزائر، ط1، نوفمبر 2005، ص 23

6- حكيمة بوقرومة (جامعة المسيلة)، زاهية بوقرومة (جامعة تيزي وزو)،الأناشيد الوطنية و دورها التّعبوي خلال الثّورة، عنوان المداخلة: النّشيد الشّعبي الجزائري و دوره في تحريض الثّورة، ، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، ج2، 15- 16 ماي 2013، ص 362

7- عبد القادر خليفي ،دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، ، ص 26

8- معجم المعاني الجامع، الموقع الالكتروني: http://www.almaany.com

9- شما بنت محمد بن خالد آل نهيان، التّنمية الثّقافية و تعزيز الهويّة الوطنيّة، دار العين للنّشر، القاهرة، ط1، 1434 هـ/2013م، ص 60

10- المرجع نفسه ، ص 62

11- أنور الجندي، ترشيدالفكرالإسلامي، ، دار الاعتصام، د.ط، د.ت، ص 23

12 - علام عبد القادر محمود النعنع، التعبئة المعنوية في القرآن الكريم، قدمتهذهالأطروحةاستكمالالمتطلباتدرجةالماجستيرفيأصولالدينبكليةالدراساتالعليافيجامعة النجاحالوطنية ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، كلية الدراسات العليا، ، إعداد ، إشراف محمد حافظ الشريدة، 2007 م، ص 119

12- عمريالطاهر،النخبةالوطنيةالجزائريةومشروعالمجتمع (1900-1940)،أطروحةلنيلشهادةالدكتوراهفيالتاريخالحديثوالمعاصر،جامعةالأميرعبدالقادرللعلوم

الإسلامية،قسنطينة، كليةالآدابوالعلومالإنسانية،قسمالتاريخ، السنة الجامعية، 2004-2003،ص 316

13- منقولة عن طريق السّماع: نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

- **بني:** ابني14

15- **حنا:** نحن، **موطنّا:** موطننا، **بيه:** به

16- شما آل نهيان، التّنمية الثّقافية ، ص 65

17- منقولة عن طريق السّماع: عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس

18- **الشّي:** الشيء، **اللي:** الذي، **فات:** مضى

19- **قرّيو:** درّسوا، **فاللغات:** في اللغات، **باه:** لكي، **يخرجوا:** بمعنى يصيروا، **زعما:** زعماء ذوي مناصب عالية

20- روى أبو داود والترمذي في السنن عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتابيهود (أي تعلم له اللغة السريانية التي هي لغة التوراة والإنجيل، وقال صلوات الله وسلامه عليه إني والله ما آمن يهود علىكتابي، قال زيد: فتعلمته فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته –أي عرفته وأتقنته –فكنت أكتب إليه إذا كتب وأقرأ له إذا كُتبإليه .

21- منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليو بوليس

22- **بادي:** بادئ اسم فاعل يعود على صاحب الأغنية، فهو يفتتحها بالبسملة.

23- **انزور:** أزور، **جاتني:** جاءتني، أي بعيدة بالنسبة لي

24- منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليو بوليس

25- **بديت:** بدأت، **نقول:** أقول، **جبت:** أحضرت بمعنى اقتبست.

26- **اللي:** الذي

27- البضاعة لمبتغي الشّفاعة، ماجد بن سليمان الرسي، سلسلة الإسلام الصّافي، جمادى الآخرة، 1434هـ، ص10

28- صحيح: رواه الطبراني في الأوسط عن واثلة، كما في صحيح الجامع رقم: 1905.

29- منقولة عن طريق السّماع: مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليو بوليس

30- **الذراري:** الشباب، **اللي:** الذين، **جيتو:** جئتم، **اوراس:** اسم جبل

31- **نطلب:** بمعنى أدعو، **ربي و النّبي:** واو الربط هنا غير جائزة شرعًا لأنّها واو الإشراك كما أنّ الرّجاء و التضرّع يكون لله دون سواه، و لعلّ التلفّظ بهذه العبارة من قِبل المغني يرجع إلى جهله لهذا الأمر، فقالها دون أن يقصد و الله أعلم ، فالأمور التي تتعلّق بالربوبية كالمشيئة

والإرادة والتقدير والنّصرة والرّزق ونحوهايستحب التأدب فيها بعدم نسبتها إلى الله وأحد من خلقه على وجه التشريك بحرف العطف " الواو "، بل ينبغي استعمال حرف العطف " ثم "، فتقول مثلا : ما شاء الله ثم شئت ، بفضل الله ثم بفضل فلان ، هذا بتقدير الله ثم بتقدير فلان ، وهكذا. **يمنعكم:** يحميكم

32- منقولة عن طريق السّماع: ابراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة

33- **عين لي ثائر**: أعِنْ الثّائر

34- **اليف**:تحريف الحرف العربي الألف، **بديت:** بدأت، **نشادي**:إنشادي أو نشيدي، و عبارة بديت نسادي بمعنى شرعت في المسير

35- **رضاية ربّي:** طلب الرضا من الله عزّ و جل

36- **السطور**: الأسطر، **طوّل لعمور:** دعاء بإطالة الأعمار

37- سورة إبراهم، الآية 27

38- منقولة عن طريق السّماع: ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

39- **آم**: إنّهم، **عالدّين**: من أجل الدّين

40- منقولة عن طريق السّماع: عتيقة لعمارية ، 61 سنة، جبالة لخميسي

41- **محزّم**: يضع حزامًا، **القشّابية:** لباس شتوي.

42- **الشهريّة:** الرّاتب الشّهري، المال مقابل أعماله.

43- منقولة عن طريق السّماع: لعمارية عتيقة ، 61 سنة، جبالة لخميسي.

44- **يا خوتي:** يا إخواني، **خاوة**: إخوة

45- **متّو:** مِتُّم، **عشتو:** عشتم، **جيبوا:** أحضِروا و هنا بمعنى حقّقوا أو أحرِزوا

46- منقولة عن طريق السّماع: الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة

47- **السّجعان**: الشّجعان، **اسمعوا ليّا:** استمعوا لي

48- **خوذوا:** خُذُوا، **ما فيه:** ليس به.

49- **ينتم:** تمّ معناه و الفائدة منه، **نندم**: أندم.

50- سورة آل عمران، الآية 169

51- سنن الدرامي، عبد الله بن عبد الحمن الدرامي السمرقندي، دار الكتاب العربي، 1407هـ/ 1987م، ص 2409

52- منقولة عن طريق السّماع: يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

53- **رجليهم**: أقدامهم، **غطّات**: غطّت و سترت

54- **ليهم**: لهم.

55- منقولة عن طريق السّماع: ابراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة.

56- **طوالو:** طالت.

57- **ما صاير بيّا**: ما حدث لي، يقصد ما عاناه من مشقّة و تضحيات جسام من أجل وطنه

58- أحمد عاشوري، كدية الجهاد: قصة الشهيد صالح الحروشي، سلسلة شهداء احتفلت بهم، طبع بمساهمة جمعية أصدقاء سويداني بوجمعة، ص 22

59- **الطلبة في ربّي**: بمعنى لا رجاء و لا دعاء إلا لله تعالى

60- منقولة عن طريق السّماع: عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

61- **يابني:** يا ابني، **لا حد**: لا أحد، **نجدنا**: أنجدنا أو أتقضنا

62- بيه: به

63- سورة الفتح، الآية 01.

64- محمد زروال، الحياة الرّوحية في الثّورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني بالمجاهد، ص 95.

65- منقول عن طريق السّماع: اليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة

66- **الهمّة:**العزيمة، نقول: بعيد الهمّة أي يسمو إلى معالي الأمور، **اعطيوني:** أعطوني أو امنحوني، **رخصة:** إذن، **نشوف:** أرى، **يمّة:** أمّي.

67- **لحضرت الموت:** إذا حضرت أو حانت الموت ، **نموت:** أموت (أستشهد)، **ثمّة:** هناك أي حيث توجد أمّي، **نضرب:** أضرب و المقصود هنا أقاتل الأعداء، **على ديني:** من أجل ديني (الإسلام)، **نحرّر:** أحرّر.

68- عمري الطّاهر، المرجعنفسه،ص 319

69-

كانتأولىخطواتالمشروعالاستعماريلمحاربةالدينالإسلاميقدتمثلتفيتهديمبعضالمساجدوالاستيلاءعلىالأوقافالإسلامية،وكذلكتحويلبعضهاإلىكنائسأوكاتدرائياتوغلقبعضالزواياالدينيةوالصوفية،بالإضافةإلىتحويلالمراكزالثقافيةإلىمعاهدالثقافةالفرنسية ... إلىغيرذلكمنالإجراءاتالتيطبّقتهاإدارةالاحتلال.

<u>قائمة المصادر و المراجع:</u>

- **القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع**

<u>أوّلاً: المصادر الشفهية :</u>

1- إبراهيم بوخدنة، 74 سنة، تاملوكة.

2- عمار مصمودي ، 57 سنة، هيليوبوليس.

3- عمر بولبازين، 68 سنة، تاملوكة.

4- لحسن فراحتية ، 81 سنة، وادي الشحم.

5- مبارك فنيدس، 63 سنة، هيليو بوليس.

6- نافجة بن شرشار، 70 سنة، جبالة لخميسي.

7- الهذبة رواقدية، 90 سنة، بلخير.

8- اليامنة موادنة ، 85 سنة، قالمة.

9- يوسف فنيدس، 63 سنة، هيليوبوليس.

10- برنية طالب ، 71 سنة، عين تحميمين، بوشقوف.

11- حورية بقلمون، 65 سنة، تاملوكة.

12- ربيحة رواقدية ، 56 سنة، بلخير.

13- الزهرة ماضي، 74 سنة، بني مزلين.

14- الطيب بوتيرة ، 77 سنة، قالمة.

15- عائشة بوصوفة، 60 سنة، جبالة لخميسي.

16- عقيلة معافة، 63 سنة، قالمة.

17- عتيقة لعمارية ، 61 سنة، جبالة لخميسي.

ثانيًا: الكتب:

18- أنور الجندي، ترشيدالفكرالإسلامي ، دار الاعتصام،بيروت ،لبنان ، د.ط، د.ت.

19- بسّام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، دار النفائس، ط1.

20- ماجد بن سليمان الرسي ،البضاعة لمبتغي الشّفاعة، ، سلسلة الإسلام الصّافي، جمادى الآخرة، 1434هـ، ص10

21- فوزي العنتيل، بين الفولكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط01، 1987.

22- فاروق أحمد مصطفى و مرفت العشماوي، دراسات في التّراث الشّعبي، ، دار المعرفة، الإسكندرية- مصر، ط01، 2008.

23- عبد القادر خليفي ،دور الأدب الشّعبي في المقاومة الوطنية، ، سلسلة منشورات الجيب، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أكتوبر 2005.

24- عبد العزيز الشويط، دور النّشيد الشعبي الجزائري في معركة التّحرير الكبرى، دراسة في الأهداف و المرامي لمجموعة من الأناشيد الشّعبية الجزائرية، دار أمواج للنشر، الجزائر، ط1، نوفمبر 2005.

25- شما بنت محمد بن خالد آل نهيان، التّنمية الثّقافية و تعزيز الهويّة الوطنيّة، دار العين للنّشر، القاهرة، ط1، 1434 هـ/2013م

26- عبد الله بن عبد الحمن الدرامي السمرقندي، سنن الدرامي، دار الكتاب العربي، 1407هـ/ 1987م

27- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية.

28- مرزوق حواس، وثيقة هوية أو فصول القول في الشعر الشعبي، الديوان الوطني لحقوق التأليف، فرع عنابة، أفريل 2012.

29- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، دراسة و شرح الطاهر مربيعي، دار المختار للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، ط 2009.

30- سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900- 1930، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3.

31- عاشوري أحمد ، صهيل الحصان: قصة الشهيد مبارك فنيدس، سلسلة شهداء احتفلت بهم.

32ـــــــــــــــــــــــ، كدية الجهاد: قصة الشهيد صالح الحروشي، سلسلة شهداء احتفلت بهم، طبع بمساهمة جمعية أصدقاء سويداني بوجمعة.

33- عبد الحميد ين باديس ،آثار الإمام عبد الحميد بن باديس: رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين، من مطبوعات وزارة الشّؤون الدّينية، الجزائر، ط1، 1406هـ/1985م، ج4

34- عبد الحميد ين باديس ،آثار الإمام عبد الحميد بن باديس: رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين، من مطبوعات وزارة الشّؤون الدّينية، الجزائر، ط1، 1412هـ/1991م، ج5

ثالثًا: المعاجم:

37- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيّات، حامد عبد القادر، محمد علي النجّار، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامّة للمعجمات و إحياء التّراث، دار الدّعوة، القاهرة، مايو 1982، باب الغين، ج1- 2

رابعًا: الرسائل الجامعية :

38- جون جوزيف، اللّغة و الهويّة، عالم المعرفة، دولة الكويت ،العدد 342، أغسطس 2007.

39- علام عبد القادر محمود النعنع، التعبئة المعنوية في القرآن الكريم، قدمتهذهالأطروحةاستكمالًالمتطلباتدرجةالماجستيرفيأصولالدين، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس- فلسطين، كلية الدراسات العليا، 2007 م.

40- عمريالطاهر،النخبةالوطنيةالجزائريةومشروعالمجتمع (1900-1940)،بحثلنيلشهادةالدكتوراهفيالتاريخالحديثوالمعاصر،جامعةالأميرعبدالقادرللعلومالإسلامية،قسنطينة، كليةالآدابوالعلومالإنسانية،قسمالتاريخ، السنة الجامعية، 2003 -2004.

41- محمد زروال، الحياة الرّوحية في الثّورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني بالمجاهد.

خامسًا: الملتقيات والأيام الدراسية :

42- عبد العزيز بومهرة عنوان المداخلة: الحريّة و التّضحية في الأغنية الشّعبية، ، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، كليّة الآداب و اللغات، قسم اللغة والأدب العربي.

43- حكيمة بوقرومة (جامعة المسيلة)، زاهية بوقرومة (جامعة تيزي وزو)، عنوان المداخلة: النّشيد الشّعبي الجزائري ودوره في تحريض الثّورة، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة العربية و آدابها، ج2، 15- 16 ماي 2013.

سادسًا: المواقع الالكترونيّة:

44- رائد أنس، رفع العلم الوطني في مظاهرات 8 ماي 1945 حمل دلالات واضحة على بداية نهاية الجزائر الفرنسية،سطيف.نت : موقع إخباري،، الثلاثاء 11 كانون الأول (ديسمبر) 2012، على الساعة 17.00.

45- الموقع الالكتروني: http://ar.wikipedia.org/wiki ، أطلع عليه يوم الأحد 2016/10/15، على الساعة 11.00سا.

46- الموقعالالكتروني:http://www.almaany.com،أطلع عليه يوم الأربعاء2016/10/18،على الساعة13.00سا.